

مشروع تحقيق التجانس في التعليم العالي بأفريقيا

(مشروع مشترك بين الاتحاد الأوروبي واتحاد جامعات أفريقيا)

"African Higher Education Harmonization"

إعداد

أ.د/ هانى عبدالستار فرج

أستاذ فلسفة التربية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

ممثل جامعة الإسكندرية في المشروع

مشروع تحقيق التجانس في التعليم العالي بأفريقيا (مشروع مشترك بين الاتحاد الأوروبي واتحاد جامعات أفريقيا) * "African Higher Education Harmonization"

د/ هانى عبدالستار فرج

أما قبل ...

فعل من المفيد، إن لم يكن من الضروري، أن أقدم للموضوع بالتبني، وتأكيد بعض "الدروس" التي تُعلّمنا إيّاها فلسفة التاريخ؛ علّها تعين على فهم الموضوع في "سياقه" التاريخي، والثقافي، والتربوي الصحيح، وعلّنا نتعلم منها ما يعين على تصويب "المسار" إن أردنا الإصلاح "الحقيقي":

أولاً- من الأمم والشعوب من يُعنى بالمستقبل، فيفكر فيه، ويُخطط له، ويعمل من أجله future oriented societies ... تلك هي الأمم "الحيّة" التي تعيش التاريخ، وتعي حركته، وتعمل من أجله.... وفي المقابل، هناك من الأمم، والشعوب من يعيش أسير الماضي، وحكاياته، وربما أساطيره!! تحسب أن ذلك يكفيها لإثبات "وجودها" التاريخي، و يضمّن مكانتها في التاريخ!!، فتدير ظهرها للمستقبل؛ لأنها مشغولة، ومفتونة بالتغني بأمجاد ماضيها التليد!!

ثانياً- ومن الأمم، والشعوب من يرى "اللحظة التاريخية" قادمة في الأفق؛ فيستعد لها، فيصنع "الفرصة"، ويهيئ لها المناخ الداعم؛ ليغتتمها to seize the moment ... تلك هي الأمم "الحيّة" التي تصنع التاريخ... وفي المقابل، هناك من الأمم، والشعوب من لا يملك تلك "البصيرة" التاريخية، هم أشبه ما يكونوا "بفاقدى الذاكرة الذين يتحسسون طريقهم في الظلام؛ بحثاً عن هويتهم المفقودة"، وحين تأتيهم الفرصة!! فإذا هم "يُضيّعونها"؛ حيث لا يملكون القدرة على الإمساك بها، ولا التعامل معها!!!

* ورقة أقيمت في ندوة: "تطوير التعليم العالي"، في لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة، أقيمت بكلية التربية-جامعة عين شمس يوم ٣٠/٤/٢٠١٤.

ثالثاً- ومن الأمم والشعوب من يتبنى "ثقافة" المراجعة *revisionism* فلسفة، ونهجاً حياتياً؛ حيث "كل" شئ قابل للمراجعة، وإعادة النظر؛ بهدف التعديل، والتحسين، والتطوير، سبيلهم إلى ذلك هو "النقد": نقد الأفكار، والسياسات، والممارسات... إلى غير ذلك مما صنعت أيديهم... من دون ذلك لن يتحقق التقدم... وفي المقابل، هناك من الأمم، والشعوب من يضيق بالنقد، ويعشق "ثقافة" المراوغة، والتحايل، ويجيد "فنون" تزييف الواقع!! تجدهم أكثر الناس حديثاً عن التغيير، وحميته، ودواعيه!! وواقعهم يشهد عليهم بأنهم أبعد الناس عنه فكراً، وعقيدة، ومسلكاً!!!

ما تقدم يُمتل "رؤى"، أحسبها" واجبة ابتداءً، وملزمة انتهاءً" - كما يقول فقهاء الأصول-، أردت من خلالها أن أقول "شئناً"؛ أملاً ورجاءً أن تكون "رسالتني" قد وصلت، وعلمها تُفضي إلى "إعادة النظر"، فهلاًّ تنبهننا قبل فوات الأوان؟!
أولاً- الجذور التاريخية، والتربوية للمشروع:

● مع اقتراب نهاية القرن العشرين، وفي إطار الانشغال، والاستعداد لدخول قرن جديد (الألفية الثالثة)، كانت مجموعة دول "الاتحاد الأوروبي" - شأنها في ذلك شأن بقية الدول الحية والفاعلة - مشغولة بالبحث في متطلبات القرن الجديد واستحقاقاته على كافة الأصعدة، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق منها بالشأن التعليمي بعامه، وبالتعليم العالي على وجه الخصوص، تعبيراً وتأكيداً على الدور المحوري والحيوي المتنامي للتعليم في تحقيق المستقبل المنشود. لقد مهّد هذا الاهتمام إلى ما صار يُعرف في الأدبيات التربوية بـ "الطريق إلى بولونيا" *The Road to Bologna*.

● وفي ١٩ يونيو ١٩٩٩ اجتمع في مدينة "بولونيا" الإيطالية ٢٩ وزيراً للتعليم العالي من دول القارة الأوروبية، وصدر عن الاجتماع ما صار يُعرف بـ "إعلان بولونيا" *Bologna Declaration*.

● عقب صدور ذلك الإعلان، بدأ عديد من الدول الأوروبية، والهيئات، والمنظمات الانضمام إليه، وتدعيمه: يضم اليوم ٤٧ دولة، فضلاً عن المجلس الأوروبي *Council of Europe*، ومنظمة اليونسكو، وممثلين عن أساتذة الجامعات، وممثلين عن الطلاب، وممثلين عن العاملين، وممثلين عن

هيئات ضمان الجودة؛ لتبدأ على الفور ما أطلق عليه "عملية بولونيا"
Bologna Process.

● كان الهدف من "عملية بولونيا" - في يُسر شديد - هو إقامة "منطقة أوروبية للتعليم العالي" (EHEA) (European Higher Education Area)، تنهض على قاعدة التعاون الدولي، والتبادل الأكاديمي؛ بما تُهيئه تلك "المنطقة" من بيئة تعليمية "جاذبة"، و "محفزة" للطلاب، والأساتذة من كافة الدول الأوروبية، فضلاً عن دول العالم المختلفة.

● هذا "الحلم" للمنطقة الأوروبية للتعليم العالي يعكس فلسفة، أو قل رؤية، تسعى إلى بلوغ ما يلي:

(١) تيسير انتقال (حرك) الطلاب، والخريجين، وأعضاء هيئة التدريس بين دول أوروبا، ومع بقية دول العالم فيما بعد.

(٢) إعداد الطلاب للمستقبل "مهنيًا، وحياتياً"؛ ليمارسوا دورهم "كمواطنين فاعلين" في مجتمعات ديمقراطية؛ بما يضمن لكل منهم بلوغ التنمية الذاتية المرجوة.

(٣) توفير، وتيسير فرص الالتحاق بنظم من التعليم العالي عال الجودة، تنهض على مبادئ الديمقراطية، والحرية الأكاديمية.

● لتفعيل ذلك "الحلم" (عملية بولونيا) بدأت الدول المشاركة في الاضطلاع بمساعي إصلاح وتطوير منظومة التعليم العالي بها، الأمر الذي كان يتطلب "ضبط النغمة" to set the tune. وعليه، عاود وزراء التعليم العالي في الدول المشاركة الاجتماع في مدينة "لشبونة"؛ للوقوف على معالم، ومحددات "الاستراتيجية" التي تُوجه مساعي إصلاح وتطوير التعليم؛ فيما صار يُعرف باسم "استراتيجية لشبونة" Lisbon Strategy.

● وهكذا، مع استكمال حلقات هذا التطوير "المنظم"، بزغت في العام ٢٠٠٠ فكرة الـ Tuning كمشروع أوروبي يسعى إلى دمج "التوجهات السياسية" التي انطوي عليها "إعلان بولونيا" ١٩٩٩، بالتوجهات التعليمية التي أكدتها "استراتيجية لشبونة"، في محاولة "جادة ومباشرة"؛ لبلوغ نقطة الالتقاء فيما بين القرار السياسي، وواقع مؤسسات التعليم العالي في أوروبا. إن بلوغ

تلك "النقطة" كان يتطلب - بل ويُحتم - علي مؤسسات التعليم العالي أن تدخل في "حوار" حول : بنية البرامج التعليمية , وبنية المقررات والمناهج , وأساليب واستراتيجيات التدريس والتقويم القائمة بالفعل. هذه هي "روح" مشروع Tuning. ومن ثم يمكن القول : إن إطار العمل في هذا المشروع يتمثل في كونه "منهجية" تتيح للجامعات إعادة النظر في برامجها, ومناهجها" القائمة" (to " tune" them) لجعلها أكثر تجانساً, و تتأغماً, وتقارباً, (harmonization) من دون أن تفقد أي منها ما تتمتع به من استقلالية.

ثانياً - نشأة الأكاديمية Tuning Academy:

- وكما يتحول هذا "الحلم" الأوربي البديع إلى واقع فعلي ملموس, كان ميلاد الأكاديمية بجامعة" ديوستو" في أسبانيا Deusto University في ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠؛ لتكون "مرجعاً دولياً" في قضايا ومسائل التعليم العالي؛ وبخاصة المتعلقة منها بالجوانب المختلفة لعمليات التعليم, والتعلم, فضلاً عن كونها مركزاً للتميز الجامعي. وتتكون الأكاديمية من: أساتذة جامعيين, وخبراء أكاديميين, وهيئة معاونة, وباحثين, ومنسقين.
- لقد اختير هذا الاسم (Tuning)؛ ليصف طبيعة" الإطار" الذي سوف يتم وفقاً له التعامل مع مؤسسات التعليم العالي؛ وهو:
 - (١) إن الجامعات "ليست" معنية, و" ينبغي ألا" تكون معنية بالبحث عن / أو تحقيق التماثل (التوحد) في برامجها, ومقرراتها في أي صورة, أو شكل.
 - (٢) يتعين على الجامعات أن تُعنى - في يسر شديد - بالبحث عن نقاط التقارب, والالتقاء, و نقاط الفهم المشترك فيما بينها, فضلاً عن تلك النقاط التي تتطلب مراجعة, وفحصاً, وتدقيقاً.
 - (٣) إن نقطة الاهتمام ليست - ولن تكون - نظم التعليم الجامعي, وإنما "البنى التعليمية", وبالتحديد البرامج والمقررات. فإذا كانت نظم التعليم هي المسؤولية الرئيسية للحكومات, فإن البنى التعليمية والمحتوى هي مسؤولية كل من مؤسسات التعليم العالي, والأساتذة.

(٤) وهكذا تحددت "المنهجية" *methodology* التي سوف يتم - من

خلالها- "تنفيذ" المشروع؛ بحيث تكون الأولوية للعناصر التالية:

أ- الكفايات الأكاديمية العامة *Generic Competences*.

ب- الكفايات الأكاديمية الخاصة *Subject Specific Competences*.

ج- مداخل جديدة للتعليم، والتعلم، والتقييم.

د- تحقيق تنمية الجودة *Quality Enhancement* في العملية التعليمية (التعليم، والتعلم).

هـ - تَبَيَّنَ فلسفة جديدة لنظام حساب (نقل) النقاط / الساعات من

مؤسسة تعليمية لأخرى "ECTS" (European Credit Transfer

System) تنهض على ربط النقاط بنواتج التعلم *learning*

outcomes؛ بحيث لا تكون للنقاط قيمة "نسبية"؛ بل قيمة "مطلقة"؛

أى أن يكون اعتماد/حساب النقاط بالرجوع إلى ما حققه الطالب من

إنجاز "كامل" لنواتج التعلم المستهدفة، والمرغوبة سواءً في وحدة

دراسية بعينها، أو في "موديول" *module*.

• وبناءً على ذلك عقد الاتحاد الأوروبي بالتعاون مع الأكاديمية سلسلة من

اتفاقيات الشراكة مع عديد من الهيئات والمنظمات الإقليمية، ليخرج المشروع

من النطاق الأوروبي إلى العالمية، ليشمل كلاً من: إفريقيا - أستراليا -

أوروبا- جورجيا- كازاخستان- أمريكا اللاتينية -روسيا- الولايات المتحدة

الأمريكية - كندا. وهناك دول أخرى في سبيلها إلى تبني هذه المنهجية،

والانضمام إلى "العائلة" *Tuning Family*.

ثالثاً - المشروع الأفريقي الأول *Tuning Africa (Project I)*

• وهكذا كان ميلاد مشروع "Tuning Africa" (مشروع تحقيق التجانس في

التعليم العالي بأفريقيا: مشروع مشترك بين الاتحاد الأوروبي، واتحاد جامعات

أفريقيا)، والذي كان مقدرًا له أن يتم في خلال ١٨ شهراً؛ وفقاً لتقديرات تقرير

الدراسة الاستطلاعية في أبريل ٢٠١١، حيث اختيرت خمسة مجالات رئيسية

جري تمثيلها جغرافياً على النحو التالي:

- الطب (شمال إفريقيا).

- التربية (جنوب إفريقيا).
 - الهندسة المدنية (شرق إفريقيا).
 - الهندسة الميكانيكية (وسط إفريقيا).
 - الزراعة (غرب إفريقيا).
- وقد مثَّلَ جمهورية مصر العربية في هذا المشروع ثلاث جامعات؛ هي: جامعة الإسكندرية (مجال التربية- أ.د. هاني فرج)، وجامعة قناة السويس (مجال الطب- أ.د. أحمد الجوهري)، وجامعة القاهرة (مجال الهندسة الميكانيكية - أ.د. محمد مجاهد). لقد أسفرت أعمال اللجان النوعية الخمس عن تحديد الكفايات الأكاديمية العامة Generic Competences، والكفايات الأكاديمية الخاصة Subject Specific Competences في المجالات الدراسية السابقة، والتي يتعين أن تُؤخذ بعين الاعتبار عند بناء البرامج الدراسية (أو مراجعة البرامج الحالية)، سعياً لتحقيق التجانس المنشود على المستوى القاري، والعالمي.
 - لقد انتهى العمل في هذا المشروع (Tuning Africa) في أكتوبر؛ ٢٠١٣، وأعقب ذلك إصدار التقرير الختامي في مارس ٢٠١٤، و يجري الآن توزيعه على المسؤولين، وصناع القرار (رؤساء الدول- وزراء التعليم العالي- رؤساء الجامعات)، فضلاً عن الكليات المعنية بمجالات الدراسة في جميع دول أفريقيا؛ على أمل دراسته، واستنهاض حوار علمي بشأنه؛ علنا نصل في نهاية المطاف إلى تطوير وتحسين الوضع الراهن.
 - ويتضمن العرض التقديمي التالي (Power Point) شرحاً تفصيلياً لكافة مراحل المشروع، فضلاً عما انتهى إليه من نتائج.
- رابعاً- المشروع الأفريقي الثاني (Tuning Africa (Project II):**
- ونظراً لأهمية، وقيمة الإنجاز الذي تحقَّق، فقد قرَّرَ الاتحاد الأوروبي، واتحاد جامعات أفريقيا استكمال العمل بمشروع ثان (Tuning Africa- II) ينصب على "نواتج التعلم" Intended Learning Outcomes. وقد بدأ العمل بالفعل في المشروع الجديد في شهر أكتوبر ٢٠١٣، حيث عُقد

- الاجتماع الأول (موزمبيق), تلاه الاجتماع الثاني في مارس ٢٠١٤ (بروكسل), ولم يزل العمل مستمراً.
- تتركز المهامة الرئيسة للعمل في: كيفية ترجمة الكفايات الأكاديمية العامة Generic Competences, و الكفايات الأكاديمية الخاصة Subject Specific Competences, إلى نواتج تَعَلُّم Learning Outcomes : كل ما يجب على المتعلم أن يعرف , وأن يفهم, وأن يكون قادراً على ممارسته بعد انتهاء التعلم (قابلة للقياس) في جميع وحدات المقررات الدراسية (أو " المديولز " modules) التي يدرسها الطلاب على مدى سنوات الدراسة الجامعية (موزعة على الفصول الدراسية), وتحديد عدد النقاط المخصصة لكل منها (نظام الساعات المعتمدة).